(١٠) القدس قضيّتنا جميعا

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الربط بين المسجدين فى الإسراء:

لا زال الحديث موصولاً عن انتفاضة الأقصى المباركة. فى هذه الأيام – بعد يوم أو يومين – يحتفل المسلمون كعادتهم بذكرى الإسراء والمعراج، ويذكرون قول الله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ... ﴾ [الإسراء: ١].

لا يمكن أن يذكر الإنسان المسلم الإسراء والمعراج، وينسى أرض الإسراء والمعراج، وينسى منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وينسى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله، وينسى ربط القرآن بين المسجدين العظيمين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ليس هذا الربط عبثا، إنّه ربط لحكمة إلهيّة، إنّه يذكّر المسلمين فى كلّ مكان وفى كلّ زمان: ارتباط كلّ من المسجدين بالآخر، فمن فرّط فى المسجد الأقصى أوشك أن يفرّط فى المسجد الحرام، فكلاهما مسجدٌ معظّمٌ مقدّسٌ مبارك تُشدّ الرحال إليه.

إذا ذكرنا الإسراء والمعراج فلا بدّ أن نذكر المسجد الأقصى الذى أصبح أسيراً فى يد الصهاينة منذ ثلث قرن من الزمان، وأصبح مفروضاً على الأمّة.. أمّة الإسلام.. أمّة القرآن.. الأمّة التى تقرأ سورة الإسراء.. الأمّة التى تحتفل بذكرى الإسراء والمعراج – أصبح مفروضاً على هذه الأمّة – أن تعمل متضامنةً متكافلةً متعاونةً لتحرير المسجد الأقصى، وإعادة المسجد الأقصى إلى هذه الأمّة.

هذا هو الواجب، وهذا ما تقوم به الانتفاضة الباسلة المؤمنة المباركة، التى أرتنا أنّ هذا الشعب – شعب فلسطين – شعب لا يموت، ولا يقبل أن يموت.

شعب مستعد لأن يبذل النّفس والنّفيس، والغالي والرخيص، من أجل هذه المقدّسات.

ذوو العزائم الصادقة:

بالأمس استمعت إلى ما أذاعه تلفزيون (قطر) فى لقاء مع جرحى الانتفاضة، وقد سعدت بزيارتهم منذ أيّام في مستشفى (حمد). أذاع تلفزيون (قطر) في مساء الأمس لقاء مع هؤلاء الشباب ومع أهليهم: آبائهم وأمّهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأجدادهم، وكان لقاءً حافلاً، تبيّن أنّ هذا الشعب شعب مصابر مرابط مجاهد لا يفرّط فى حقّه.

لعلّ الكثيرين منكم شاهدوا واستمعوا إلىٰ ما جرى بالأمس من التلميذ الصغير (سليمان) هذا، ومن أبيه، ومن جدّه، ومن أمّه، ومن جدّته، لعّلكم سمعتم من هؤلاء ما يشفي الصدور، وما يطمئن القلوب، من سليمان، ومن أخيه رائد، وأخته رائدة، وأمّه وأبيه، ومن علاء، وأبي علاء، من هؤلاء الأبطال الذين قالوا: إنّنا مصمّمون بعد أن نُشفى – إن شاء الله – ونُعالج من جراحاتنا أن نعود للجهاد من جديد! لا يقولون: مرّة ومرّت، لا، يقولون: سنعود للجهاد أشدّ قوّة وأصلب عوداً!

هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم، وهذا ما نرجو أن يفهمه المسلمون في كلّ مكان.

تجاوب الجماهير مع الانتفاضة:

الحمد لله، المسلمون في كلّ مكان عرباً وعجماً تجاوبوا مع هذه الانتفاضة، عبّرت عن ذلك المسيرات الغاضبة في مشرقنا ومغربنا. في بلادنا العربيّة والإسلاميّة تجاوبت الجماهير التي قاومت السلطات.. السلطات التي تحسب الحساب وتقلّب الأمور وترعى السياسة وتحافظ على مصالحها وتراعي خاطر هذا وذاك، هؤلاء الساسة الذين يتفلسفون في تبرير هزائمهم النفسية.. في تبرير تراجعاتهم.. في تبرير مواقفهم المتخاذلة، هذه فلسفات مريضة.. عقيمة.. سقيمة ليس لها قيمة، وليس لها وزن، أمام هذا الاندفاع التلقائي من هذه الجماهير.

أنا أرى أنّ هذه الجماهير بفطريّتها أصدق تعبيراً وأعمق تفكيراً، من هؤلاء الذين يتفلسفون، ويبرّرون هذا الانهزام النفسي بقيل وقال.

هذه الجماهير المسلمة في كلّ مكان قد لقّنتنا درساً: أنّ هذه الأمّة مستعدّة أن تبذل لتحرير مقدّساتها، عندما يُتاح لها الفرصة، وعندما يفتح لها الطريق. ولكن المشكل أنّ الطريق مسدود، وأنّ الأبواب مغلّقة أمام المسلمين المتحرّقين إلى الجهاد فيِ كلّ مكان.

حيثما ذهبت فيِ أرض الله، حيثما ذهبت فيِ أوطان الإسلام مشرّقاً أو مغرّباً، يسألنيِ الشباب.. الشباب المسلم.. شباب الصحوة الإسلاميّة.. الشباب الذيِ يصوم الإثنين والخميس.. الشباب الذيِ يأخذ حظّه من قيام الليل.. الشباب الذيِ يقرأ القرآن والسيرة النبويّة.. الشباب الذيِ يعرف سير أبطال الجهاد الفاتحين، هذا الشباب يسألنيِ: كيف نؤدّيِ واجبنا؟ وكيف نبرىء ذمتنا أمام الله والمسجد الأقصى أسير فيِ أيدي اليهود؟ ماذا نفعل؟

هذا الشبابُ يتحرّق للجهاد، لماذا لا تفتح له الأبواب؟ دول الطوق هل مهمّتها حماية إسرائيل من هذا الشباب المتحرّق للجهاد فيِ سبيل الله؟ ماذا نقول؟.

القدس قضية المسلمين الأولى:

إنّ قضيّة فلسطين – أيّها الإخوة – قضيّة المسلمين الأولى، قضيّة أمّة الإسلام.. أمّة القرآن.. أمّة محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يجوز لهذه الأمّة أن تضع هذه القضيّة دبر آذانها، أو تغفل عنها، أو تفكّر فيِ سواها، إنّها قضيّتهم الأولى.

إذا كان كل يهوديِ فيِ العالم يعتبر إسرائيل وقيام إسرائيل وانتصار إسرائيل قضيّته الأولى، ويبذل فيِ ذلك ما يبذل، إذا كان هذا شأن اليهود فيِ أنحاء العالم، فما بالنا نحن المسلمين؟

نحن نعرف أنّ اليهود أبخل الناس بمال، ومع هذا رأينا اليهود فيِ عصرنا

هذا يبذلون من أموالهم الملايين لنصرة إسرائيل. الملايين تبذل لنصرة هذا الكيان الصهيونيِ الغاصب المعتدي. أين المليونيرات والملياردیرات عندنا نحن العرب والمسلمين؟ أين ملايينهم وملاييرهم؟ لماذا لم تظهر؟ هناك رجال خيرّون والحمد لله فيِ كل مكان، ولكن ليس على مستوى اليهود فيِ العالم، وهذا ممّا يؤسف له.

اليهود الذين وصفهم القرآن بأنهم أحرص الناس على حياة أي حياة، أصبحوا يبذلون من أنفسهم ومن دمائهم ويتحدّون أمّة الإسلام هنا وهناكَ.

ما تملكه الأمة لمواجهة اليهود:

هذا يفرض على هذه الأمّة أن تهبّ عن بكرة أبيها لتدافع عن دينها.. لتدافع عن مقدساتها لتدافع عن أرضها.. لتدافع عن حرماتها بكل ما تملكه، وهيِ تملك الكثير.

هذه الأمّة تملك الكثير:

هذه الأمّة تملك الكثرة العدديّة (مليار وثلث مليار) من البشر من أبناء الإسلام.

وهذه الأمّة تملك القوّة الاقتصادية، فيِ أرضها الثروات المذخورة والمنشورة، الزراعية والصناعيّة والمعدنيّة... إلخ.

وتملك هذه الأمة القوة الحضاريّة، فهيِ قد نشأت فيِ منابت الحضارات، ومهابط الرسالات، فيِ صُرّة العالم. الحضارات الكبرى نشأت فيِ أرض الإسلام: الحضارة الفرعونيّة والحضارة الفينيقيّة والحضارة الآشوريّة والبابليّة والهنديّة والفارسيّة، هذه الحضارات نشأت فى أرض الإسلام.

هذه الأمّة تملك القوّة الروحيّة، لأنّها تملك أعظم رسالة (رسالة الإسلام)، التيِ ختم الله بها الرسالات، وختم بها النبوّات، وجعلها رحمة للعاملين، وحجّة على النّاس أجمعين.

هذه الأمّة تملك الكثير من مقوّمات السيادة والريادة والقيادة والانتصار، لو وَظّفت ما تملكه من قُوى، لو جُنّدت هذه القوى وأُحسن تجنيدها وتوظيفها.

هذه الأمّة قادرة على أن تفعل الكثير، ولكنّ المشكلة هيِ مشكلة (القيادات).

قديماً قال السيد محب الدين الخطيب رحمه الله فيِ مجلّته (الفتح): (المسلمون إلى خير ولكنّ الضعف فى قيادتهم). الضعف دائماً يأتيِ من القيادة، القيادات ليست على مستوى الأمّة والجماهير، إنّهم يريدون أن يحصلوا على أىِ شيءٍ بأىِ ثمن، وطبيعة هذه القضايا أنّها قضايا طويلة النّفَس، طويلة الأمد، لا تُحلّ بينَ عشيّة وضحاها.

هذه القضايا لا بدّ أن يصبر عليها أهلها، ويصابروا، ويرابطوا، ويجاهدوا، حتى يحصلوا على النّصر.

هذه ليست أوّل مرّة تحتل فيها فلسطين وسواحل الشام، قد احتلّت من قبل:

احتلها (الفرنجة) الذين جاءوا من أُوربّا، الذين عرفوا باسم (الصليبيّين)، كان المسلمون يسمّونهم: كفّار الفرنجة، هؤلاء الذين جاءوا بقضّهم وقضيضهم وثالوثهم وصليبهم، يزعمون أنّهم يريدون إنقاذ قبر المسيح! وماذا أصاب قبر المسيح؟!

لقد عاش المسيحيّون فيِ ظل حضارة الإسلام ودولة الإسلام – كما عاش اليهود أنفسهم – آمنين على أنفسهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم وأديانهم ومعابدهم وبيعهم وكنائسهم، وكان المسلمون هم حرّاسها، لا يستطيع أحد أن يمسّهم بسوء.

جاء هؤلاء فى غفلة من الزمن، فيِ غفلة من الأمّة وتتابع من محنها. كانت الأمّة أضعف ممّا هى عليه الآن، وكان هناك حكام أضعف من حكام اليوم، بل كان هناك من خان الأمّة بصراحة وجلاء، وتحالف مع الصليبيّين فيِ جهرة وعلانية، ولكن هيّأ الله رجالاً قاموا بواجبهم.

ابتدأت الحرب مع هذه الحملات التيِ بدأت فيِ أواخر القرن الخامس

الهجرى سنة (٤٨٨) من الهجرة، بدأ هناك (أتابكة) الموصل و(أرافقة) ديار بكر، ثمّ بدأ عماد الدين زنكي، ثمّ ابنه نور الدين محمود الشهيد الذي قام بالجانب الأكبر في مقاومة الصليبيين، وفي إقامة حكم إسلامي راشد، تتبع سنن الخلفاء الراشدين، ويحى مامات منها، قام بتجديد إسلامى أشبه بتجديد عمر بن عبد العزيز فى عهد بنى أميّة، ولكنّه لم يكن له كلّ ما كان لعمر بن عبد العزيز، كان يملك الموصل والجزيرة والشام ومصر واليمن، استطاع أن يقيم فيها عدل الإسلام، وأن يقيم فيها مدارس، وأن يقيم فيها رجالاً، وأن يديرها إدارة حسنة، وأن يهيّئ الشعب.

هيّأ الشعب للقيام بالجهاد، فلابدّ من إصلاح الجبهة الداخلية، وكان هو المثل أمام شعبه وأمام المسلمين من حوله، كان بطلا حقيقيّا.

تفقهّ فى دين الله حتى إنّه أخذ إجازةً فى الحديث، أصبح من حقّه أن يروى الحديث لغيره، وكان قارئاً للقرآن، كان مصلّياً يقوم بالليل فى خِلْسةٍ من الناس ويذهب بِغَلَسٍ إلى المسجد ليقوم الليل.

كان هذا هو الإنسان المسلم الذى نصره الله على الصليبيّين فى معارك كثيرة.

ثم جاء بعده تلميذه (صلاح الدين الأيوّبى) الذى حرّر الله على يديه القدس، وكانت معركة حطّين.

ثمّ جاء الظاهر بيبرس، وآل قلاوون، وأنهوا الوجود الصليبى من المنطقة.

ماذ نريد من قادتنا ؟

ليت حكامنا وزعماءنا وقادتنا الذين سيجتمعون غداً فِى صورة قمّة عربّية، ليتهم يقرأون التاريخ، ليتهم يلتمسون العبرة من التاريخ، ليتهم يعلمون أنّ التاريخ لا يسجّل بمداد من نور إلاّ لمن وَقف موقف البطولة وقال: لا، بملء فيه. لا يسجّل التاريخ مواقف المنهزمين والمتراجعين، والذين يخافون من خيالهم، هؤلاء ليس لهم قيمة فى التاريخ، وليس لهم مكان فى التاريخ.

نريد من القمّة التى تُعقد غدا أن تقف موقفا رجوليّاً، وأن تتجاوب مع هذه الجماهير المؤمنة الغاضبة الصارخة فى كلّ مكان من أرض العرب والإسلام.

نريدهم أن يتجاوبوا مع هذه الجماهير، ولا يتجاوبوا مع (شرم الشيخ) وقمّة (شرم الشيخ) التى أريد منها أن تقطع الطريق على هذه القمّة. يُراد من هؤلاء القادة والزعماء أن يكونوا مجرّد (بصمجيّة) كما يقولون – على قرارات شرم الشيبخ، أن تكون مهمتّهم المصادقة على هذه القرارات.

لا يليق ... لا يليق بقادة أمّة تعدادها (ثلاثمائة مليون) من العرب ووراءهم أكثر من (ألف مليون) من المسلمين أن ينزلوا إلى هذا الحضيض.

نريد من هذه الأمّة – مُمثلة فى قادتها – أن تقف موقف الرجولة والبطولة، الذى يليق بأمة كانت يوما من الأيّام قائدة ورائدة وسيدّة فى التاريخ، سادت العالم عشرة قرون.

نريد من هؤلاء القادة أن يقفوا موقفا يعلنون فيه الوقف الفورى لكلّ مظاهر التطبيع مع الكيان الصهيونى، سواء كان تطبيعا فى الجانب الاقتصادى أم السياسى أم الثقافى أم التجارى أم الدبلوماسى. لا يجوز أن يبقوا مع هؤلاء أىّ نوع من العلاقات، هؤلاء قوم لا عهد لهم ولا ذمّة، وقد اتفقوا فى (شرم الشيخ)، وانظروا الآن ماذا يفعلون مع أبناء فلسطين فى الضفة الغربيّة وفى غزّة، المروحياتّ والطائرات الحربية تعمل عملها، هؤلاء الله تعالى قال عنهم: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ** ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، لا عهد لهم.

هؤلاء القساة الذين وصف الله قلوبهم بأنهّا كالحجارة أو أشدّ قسوة، إنّهم لا يتورعّون عن قتل الأطفال، ويضربون فى الأعين. قال لى وزير الصحة الفلسطينى الدكتور رياض الزعنون: إنّ عندنا عشرات مصابين فى أعينهم، إنّهم يريدون أن يجعلوا من هذا الشعب معوقا وصاحب عاهات، يسلّطون أعيرتهم على الأعين، وعندنا منهم هذا التلميذ (سليمان).

هؤلاء الذين لا يتورعّون عن شيئ، ذكر الأستاذ فهمى هويدى فى مقالته يوم الثلاثاء الماضى : أنّ اثنين من جنودهم واجهوا رجلا فلسطينيا كان معه سكين عادّية، فأخرج السكين وهدّدهما، فاستسلما وتركاه، ولم يكن يريد منهما شيئا فتركهما ومشى، فلّما ولّى بعيدا – حوالى عشرين مترا – إذا بهما يطلقان عليه الرصاص ويرديانه قتيلا.

أنظر إلى هذه النذالة... إلى هذا الجبن، جنديان مسلحان خافا وفزعا من سكّينة ولم يرد الرجل أن يفعل بهما شيئا، فقط أراد أن يهددّهما حتى يتركاه، فلّما تركهما هذا الرجل الشريف إذا بهما يقتلانه من الخلف، يطعنانه فى ظهره، يضربانه برصاصهما الآثم الغدّار.

هؤلاء هم القوم الجبناء ، ولّلأسف ابتلينا بأن تكون معركتنا مع هؤلاء الجبناء والأنذال والغدّارين والمعتدين، الذين لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمّة، ولا يرعون لإنسان عهدا ولا حُرمة، يقتلون النساء، يقتلون الأطفال، يقتلون الشيوخ، يقتلون المستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

● **معركتنا مع هؤلاء:**

نريد من قادتنا أن يكونوا على مستوى الموقف، وأن يعلنوا أنهّم مع الانتفاضة. إذا لم يستطيعوا أن يعلنوا الحرب وأن يجيّشوا الجيوش – لأنّه لا طاقة لهم بهذه الحرب – فعلى الأقل عليهم أن يشدّوا أزر هذه المقاومة، وأن يساعدوها بالمال وبالسلاح، ولو بالسلاح التقليدى: المدافع الخفيفة والبنادق والمسدّسات وبعض هذه الأشياء، علينا أن نساعدهم.

لا نقول أعلنوا الحرب وجيّشوا الجيوش، وهناك أناس مقيدّون بسلاسل معاهدات واتفاقات لا يريدون أن يخرقوها ولا يريدون أن ينقضوها، عليهم – على الأقل – أن يؤيدّوا هذا الشعب الباسل المقاوم، الذى أثبت بطولته ولا زال يثبتها فى كلّ يوم.

واجب المقاطعة للكيان الصهيونى:

عليهم أن يفعّلوا المقاطعة، أن يقاطعوا البضائع الصهيونية وكلّ من يتعامل

مع الصهيونية. عليهم أن يعيدوا المقاطعة القديمة، فلم يكن هناك مبرّرٌ لإلغاء هذه المقاطعة.

نطالب دولة قطر:

نطالب كلّ من له علاقة بهذا الكيان الصهيونى أن يقطعها، وأوّل من نطالبهم بذلك: دولة (قطر). نريد من دولة قطر ومن قيادة دولة قطر: أن تغلق هذا المكتب الحقير المنبوذ المبغوض من هذا الشعب ومن هذا المجتمع، المكتب التجارى لإسرائيل. نريد أن تغلق قطر العربية المسلمة: هذا المكتب الذى هو وكر للتجسّس ووكرٌ للفساد والإفساد.

لا يليق بدولة قطر التى وقفت وقفة رجولة مع هذه الانتفاضة، وجنّدت إعلامها، وجندّت تلفزيونها، وجندّت قناة الجزيرة، وجنّدت صحفها، وجندّت جمعّياتها الخيرية، لمساعدة هذا الشعب، لا يليق بهذه الدولة ولا بقيادة هذه الدولة أن يظل هذا المكتب الموبوء على أرضها. نطالب كلّ العرب بهذا.

لا يجوز أن ينحنى الناس خائفين وجلين من هذا الكيان الصهيونى، وممن وراء الكيان الصهيونى.. من أمريكا. الناس ينظرون إلى أمريكا كأنهّا إله فى هذا الكون، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يُسأل عمّا يفعل. هكذا ينظر الناس إلى أمريكا.

نحن نقول: إنّ أمريكا ليست إلاّ بشرا، أمريكا ليست هى القديرة على كلّ شيئ. إنّ أمريكا جرّبت حظّها فى أكثر من بلد وخرجت مهزومة منها، خرجت كسيرة الجناح. خرجت كسيرة الجناح من (فيتنام) التى ظلت فيها سنوات وأنفقت فيها المليارات ولم تحقق شيئا. وخرجت كسيرة الجناح من (لبنان) حينما فقدت بعض رجالها وهى يعز عليها رجالها، تريد أن تدخل الحروب ولا تخسر أحدا من أبنائها، فإذا خسرت بعض أبنائها أجفلت ووجلت وتخوفت. وخرجت كسيرة الجناح من (الصومال) حينما خسرت أيضا بعض أفرادها.

أمريكا ليست هى الإله، إنّما أمريكا بشر مثلنا كلّ ما نريده أن نكون

رجالا، وأن نقدر على قول «لا» بملء أفواهنا، ونحن قادرون عليها إذا تخلينّا عن هذه الهواجس، والوساوس، والمخاوف، التى تجعل الحبّة قُبّة والقطّ جملا.

هذا ما نريده من قادتنا.

نريد من القادة أن يكونوا رجالا، وأن يناصروا هذه الانتفاضة، وأن يُفعلّوا المقاطعة، وأن يقيسوا الناس والدول على قدر علاقتها بإسرائيل وعلى قدر علاقتها بهذه الانتفاضة وبأهل فلسطين.

ماذا نريد من الشعوب؟

ونريد من الشعوب موقفا آخر:

نريد من الشعوب أن تظلّ على غضبتها، وأن تظلّ مستمرة فى تأييدها لهذه الانتفاضة، بكل ما تملك من أنفس ومن أموال، وأن تحرص على وصول هذه الأموال لمن يستحقّها.

نريد من الشعوب والجماهير أن تقاطع البضائع الإسرائيلية والأمريكية، وأن تستمر فى ذلك، وإنّى أشهد والحمد لله أنّ الشركات الأمريكية هنا فى قطر بدأت تصرخ وتملأ الجرائد إعلانات فى الصفحات الأولى والصفحات الأخيرة، لأنّ هذا الشعب بدأ يعى نفسه ويعرف واجبه، ويقاطع هذه المأكولات والمشروبات الأمريكيةّ، وهذا يطمئننا.

وأريد أن يستمر الشعب وأن يتزايد هذا الوعى، ما قيمة أن تشرب زجاجة من البيبسى أو الكولا؟ ما قيمة أن تأكل من (ماكدونالد) أو من (البتزاهت) ما قيمة هذا؟ لماذا لا نأكل من طعامنا الشرقى العربى الإسلامى الذى تعوّدناه؟ ما رأيت شعوبا أصيلة تفعل كما نفعل نحن. ذهبت إلى اليابان وذهبت إلى بلاد أخرى ووجدت الناس يهتمون بأن يأكلوا أكلهم الموروث. ممكن فى كل عدّة أشهر يذهب ليأكل كذا، أو إذا جاءه ضيف. فلماذا هذا التهافت على هذه المأكولات والمشروبات والملبوسات التى هى دخيلة علينا وغريبة عنّا؟

لابدّ أن نقاطع، هذا نوع من الجهاد، كلّ إنسان عليه نوع من الجهاد،

والمقاطعة سلاح من أسلحة الجهاد الفعّالة، يعرف ذلك كلّ من له معرفة بعلم السياسة وعلم الحرب وعلم الاجتماع.

علينا أن نقاطع هذه المحلاّت. مركز (ماركسبنسر) هذا الذى يخصص أرباح يوم السبت فى كلّ محلاته فى العالم ليعطيها إلى الكيان الصهيونى، وهذا أمر معروف عند العالم كلّه، ومع هذا للأسف وجدنا فى أبناء الخليج من يفتح لهذه المحلاّت مكانا فى بلادنا، وما كان أغنانا عن هذا.

أين الوعى؟

نريد من هذه الأمة وعيا إدراكيا سليما بحيث نعرف: من هو عدوّنا؟ ومن هو صديقنا؟ وماذا فى إمكاننا أن نفعل؟ وماذا فى قدرتنا أن نقيم؟

هذا ما يجب على هذه الأمة فى هذا الوقت، حتى ينصر الله إخواننا، وينصر الله هذه الانتفاضة المباركة التى هى انتفاضتنا جميعا.

أحبّ أن أقول – أيها الإخوة – : إنّ هذه القضيّة ليست قضيّة الفلسطينيينّ وحدهم، هم يقومون عن هذه الأمّة بفرض، كلّنا يجب أن ندافع عن الأقصى، فإذا قام هؤلاء عناّ فقد أدّوا واجبا أو بعض الواجب عن هذه الأمّة.

إنّ إسرائيل ليست خطرا على الفلسطينيينّ وحدهم، إنّها خطر على العرب، وخطر على المسلمين، خطر عسكرى، وخطر سياسى، وخطر اقتصادى، وخطر ثقافى، وخطر دينى، خطر من كل ناحية، فعلينا أن نقاوم هذا الخطر وهذا السرطان بكلّ ما نستطيع من قوة، وإذا نصرْنا الله فسينصُرنا الله ﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١١) خمسون عاما على ضياع فلسطين

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

فى هذه الأيّام تستعد إسرائيل للاحتفال بالذكرى الخمسين لقيام دولتها (إسرائيل) على أرضنا الطيبّة ، أرض المقدّسات والنبوّات، أرض (فلسطين) .

ونحن نحاول أن نتذكرّ آلام ضياع هذه الأرض، التى ضاعت على مرأى ومسمع منّا، لعلّ الجيل الجديد من أبنائنا لم يشهد المأساة بعينيه كما شهدناها، نحن عشنا المأساة قبل أن تقع وبعد أن وقعت .

كنا نعجب من ضياع الأندلس وسقوط دولة الأندلس، على مرأى ومسمع من المسلمين، حتى رأينا أندلسا أخرى تسقط بن أيدينا، ونحن نرى ونسمع ولكنها فى الحقيقة أخطر من الأندلس، وأهم من الأندلس .

كنا طلاّبا صغارا فى المرحلة الابتدائية من الأزهر الشريف، وكنّا مشغولين بقضيّة فلسطين . قضية المسجد الأقصى . . قضيّة أرض الإسراء والمعراج . . قضية القبلة الأولى، كنّا مشغولين بهذه القضيّة . كنّا فى كلّ عام فى الثانى من شهر نوفمبر نسيرّ المظاهرات الطلاّبية، وننشد القصائد الحماسيّة، ونلقى الخطب الناريّة، ونهتف بالهتافات المدوّية : عاشت فلسطين عربّية إسلامّية !

كنّا نعيش مع هذه القضية، خصوصا فى الثانى من نوفمبر الذى يمثّل ذكرى وعد (بلفور) . و(بلفور) هذا هو وزير خارجية بريطانيا الذى وعد اليهود – بما قدّموا من خدمات لبريطانيا فى الحرب العالمية الثانية – وعدهم بإنشاء وطن قومّى لهم فى فلسطين . وعلّق من علّق على هذا الوعد : بأنّ من لا يملك وعد من لا يستحق !

كانوا يقولون ما قاله (هرتزل) من قديم : أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) . ولم تكن فلسطين بلا شعب، بل كان فيها شعبها من قديم .

هم من قديم قالوا هذا، من عهد (هرتزل)، وأرسلوا اثنين من الحاخامات إلى فلسطين ليرياها رأى العين. وذهب أحد الحاخامات وكتب إليهم يقول حينما ذهب إلى فلسطين: إنّ العروس جميلة جدّا، وهى مستوفية لكل الشروط حقّا، ولكنّ المشكلة أنّها متزوجة فعلا وزوجها حىّ! أى إنّ فلسطين لها شعبها وسكّانها.

هذه هى المشكلة: أنّم أرادوا أن ينزعوا شعباً من أرضه ووطنه، وأن يحتلّوا محلّه، ويحيوا مكانه. وبعبارة أخرى: أن يشاركوا الرجل فى عروسه، بل أن يغتصبوها منه عنوة!

هذه كانت هى المشكلة.

الاستعمار هو الذى ساعد اليهود من أوّل الأمر، ومكّن لهم فى الأرض، أمدّهم بكلّ ما يريدون.

حاول اليهود أن يخترقوا النّطاق الإسلامى، حاولوا أن يصلوا إلى السلطان العثمانى.. إلى الخليفة الذى كان يجّسد القيادة الإسلامية، ووحدة الأمة الإسلاميّة: السلطان عبد الحميد، أرادوا أن يصلوا إليه، وقد وصلوا إليه، وأرادوا أن يرشوه – على طريقه اليهود – بما عندهم من أموال، وعرضوا عليه (عشرين مليون جنيه ذهبى)، بعضها لجيبه، وبعضها لخزانة الدولة، تسدّد به ديونها، وتقيم به مشروعاتها، ولكنّ الرجل رفض وأبى بشمم وعزة، أبى أن يتنازل عن شبر من أرض فلسطين.

وهذا ما سجّله له (هرتزل) فى مذكّراته عن صلابة هذا الرجل، الذى رفض أن يعطى شبرا واحدا من فلسطين بالملايين، ولا بملء الأرض ذهبا.

ولكنّ الذى ساعد اليهود فى إقامة دولتهم هو: الاستعمار. خصوصاً الاستعمار البريطانى، الذى انتصر على الخلافة العثمانيّة فى الحرب العالمية الأولى، ودخل القائد البريطانى (اللّنبى) القدس فى سنة ١٩١٧م، وقال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبيّة! وقال ذلك نظيره القائد الفرنسى (چورو) حينما

دخل دمشق وذهب إلى قبر صلاح الدين الأيّوبى البطل المسلم الذى حرّر الله على يديه أرض فلسطين من الفرنجة (الصليبيين)، قال: ها قد عدنا يا صلاح الدين!

هكذا رأينا القادة العسكريين يصرّحون بمالم يصرّح به القادة السياسيوّن. القائد الأنجليزى فى القدس، والقائد الفرنسى فى دمشق، كلاهما أعرب عمّا فى نفسه بصراحة ووضوح: إنّها الحرب الصليبيّة.

لقد اتفقت الصليبية الغربية مع الصهيونية العالميّة، اتفقا علينا نحن المسلمين، وكنّا فى غفلة، وكنّا فى وهن، وكنّا فى تمزّق.

كان اليهود قد جمّعوا أنفسهم بعد تفرّق، وخططّوا لأنفسهم بعد ارتجال وفوضى، وهيّأوا لأنفسهم: ماذا يريدون؟ وكيف يحققّون ما يريدون؟ هيّأوا المال، وهيّأوا الخطط، وهيّأوا الأفكار، وهيّأوا نفسيّة الشعب اليهودى نفسه، الذى كان يرفض الذهاب إلى فلسطين فى أوّل الأمر. كانوا مستقرّين فى أوطانهم، اليهود – كما نعلم – معظمهم أغنياء فى البلاد التى كانوا يعيشون فيها، فما كانوا يريدون أن يتركوا هذه البلاد.

فى أوّل الأمر لم تكن فلسطين هى البلد الوحيد، الذى عرض عليهم ليكون وطنا لهم. بل عرض عليهم (هرتزل) نفسه ومن معه أوطانا فى أفريقيا: موزمبيق والكونغو وأوغندا، وعرضت عليهم: الأرجنتين، وعرضت عليهم قبرص، ولكنّ الناس لم يتحمّسوا لهذه الأوطان.

ولذلك بدأت الفكرة: أن يدخلوا العنصر الدينى ليلهبوا العواطف، ويجمّعوا الجماهير، فكان التركيز فى النهّاية على فلسطين، (أرض الميعاد) كما سمّوها، وتبنّى ذلك المؤتمر اليهودى الذى انعقد سنة ١٩٠٥م، أى بعد سنة واحدة من وفاة (هرتزل). جاء ذلك ونحن فى غفلة عما يجرى حولنا.

سئل أحد رؤساء وزراء مصر فى سنة من السنوات عن قضية فلسطين، فقال لهم: وما شأنى، أنا رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين!! كان يظنّ أنّ الخطر بعيد عنه، ما كان يعرف أنّه فى قلب الخطر.

كان الذى يدرك هذا الخطر بوضوح وجلاء وعمق: رجلا شابّا فى الثلاثين من عمره فى ذلك الوقت، هو: حسن البنّا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، الذى كان يعيش فى قضية فلسطين كما تعيش فيه، كانت من أوّل شواغله وأكبر همومه، باعتبارها أرضا إسلامية لها خصوصيتها وقدسيتها عند المسلمين فالإسلام هو صاحب قضيّة فلسطين، قضيّة فلسطين لا يمكن إلاّ أن تكون قضيّة إسلاميّة.

وأحب أن أشرح هذه القضية: ما معنى أنّ فلسطين قضيّة إسلاميّة؟

قال الشيخ أحمد ياسين بالأمس فى محاضرته: إنّنا لا نحارب اليهود من أجل أنّهم يهود. أىّ إننا لا نحاربهم من أجل عقيدتهم اليهوديّة. وهذا كلام سليم، يدل على فقه سليم، نحن نقول إنّ اليهود كفّار كما إنّ النصارى كفّار، لأنهم لم يؤمنوا بمحمّد ﷺ، ولكنّا لا نحاربهم من أجل ذلك، فقد عاش اليهود بين ظهرانى المسلمين قرونا طويلة فى أمان وضمان وسلام، وكان لهم نفوذهم لدى الخلفاء والوزراء والكبراء، بل منهم من صار وزيرا، وكان لهم غناهم وثرواتهم، حتى إنّ كثيرا من المسلمين كانوا يحسدونهم على ما هم فيه.

لم يكن الأمر إذا بيننا وبين اليهود صراعًا من أجل العقيدة، فالإسلام أقرّهم على عقيدتهم، وعاشوا أهل ذمّة بين المسلمين. وحينما طردهم العالم فى أوربّا وغيرها، لم يجدوا كهفا يأوون إليه، لم يجدوا أرضا يأمنون فيها، ويطمئنون على أنفسهم وأموالهم وحرماتهم إلاّ أرض الإسلام. إلاّ دار الإسلام، هى التى آوتهم من تشرد، وهى التى أمنّتهم من خوف، وهى التى وسعتهم وساعدتهم.

إذن ليس الأمر بيننا وبين اليهود حربا عقديّة من أجل العقيدة. بل المعركة بيننا وبينهم من أجل الأرض التى اغتصبوها عدوانا وظلما. قامت المعركة بيننا وبين اليهود حينما اغتصبوا أرضنا، وشرّدوا أهلنا، وسفكوا دماءنا، وانتهكوا حرماتنا، وأقاموا ما أقاموا من مجازر تشيب لهولها الولدان، وتقشعّر منها الأبدان إن من المتفق عليه: أن الحرب التى بيننا وبين الصهاينة هى من نوع جهاد الدفع لا جهاد الطلب. نحن إذن ندافع عن أنفسنا: عن أرضنا ومقدساتنا.

من أجل هذا قامت المعركة بيننا وبين اليهود.

هذه حقيقة يجب أن نعيها أيّها الإخوة المسلمون، فبعض اليهود يشنّعون علينا كذبا وزورا: أنّ المسلمين متعصّبون، وهم يحاربوننا من أجل ديننا، من أجل عقيدتنا لا، والله، ما نحاربهم من أجل دينهم، ليبقوا على يهوديتّهم، وليذهبوا إلى الجحيم! فحسابهم ليس إلينا، بل إلى الله ﴿ **اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١٥].

لو سالمونا لسالمناهم ولكنهم عادونا فعاديناهم، وحاربونا فحاربناهم، دفاعا عن أنفسنا الله تعالى يقول: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩] فهم الذين أخرجونا من ديارنا، وظاهروا على إخراجنا، وفعلوا بنا الأفاعيل، فلا يمكن أن نتولاهم، بل لابدّ أن نقاومهم، ولابدّ أن نحاربهم.

وهذه الحرب حرب مقدّسة، لأنّها حرب للدفاع عن الأرض، والدفاع عن العرض، والدفاع عن المقدسات. والمفروض فى المسلم أن يدافع عن أرضه ووطنه – أرض الإسلام – ويقاتل حتى الموت دفاعا عنها، وإذا خرّ قتيلا فهو شهيد فى سبيل الله.

فكيف إذا كانت هذه الأرض أرض الإسراء والمعراج؟ كيف إذا كانت هذه الأرض أرض النبواتَ التى بارك الله فيها للعالمين، وقال عن إبراهيم: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٧١]؟ كيف إذا كانت هى أرض المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله بنصّ القرآن الكريم؟ إنّ المعركة تكون معركة إسلاميّة بكلّ جوانبها، إنّها دفاع عن أرض الإسلام، ودفاع عن القدس، ودفاع عن المسجد الأقصى وهذا واجب كل مسلم: أن يدافع عن المسجد الأقصى كما يدافع عن المسجد الحرام.

ليس عبثا أنّ الله ربط بينهما فى قصة الإسراء، كان يمكن أن يعرج النبى

عليه الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى وإلى السّموات العلى من المسجد الحرام مباشرة، ولكنّ الله أراد أن يمرّ على المسجد الأقصى. المحطّة القدسيّة هذه مقصودة ليربط الله بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا..** ﴾ [الإسراء: ١]. والله تعالى لم يصف المسجد الحرام إلاّ بهذه الكلمة: المسجد الحرام)، ولكنّه زاد فوصف المسجد الأقصى بهذا الوصف: «الذين باركنا حوله» ليربط قلوب الأمّة بهذا المسجد، الله يعلم ماذا سيجرى لهذا المسجد فوصفه بهذا الوصف.

ربط الله بين المسجدين حتى تستقرّ قدسيّتهما فى وجدان كلّ مسلم، وفى أعماق كلّ مؤمن، فمن فرّط فى المسجد الأقصى أوشك أن يفرّط فى المسجد الحرام وفى الكعبة (البيت الحرام).

المعركة بيننا وبين إسرائيل معركة إسلامية. إذا كانت إسرائيل تجمعّ الناس من أطراف الأرض باسم العقيدة اليهودية... بأحلام التوراة والتلمود، فنحن نجمع الناس باسم القرآن. إذا حاربونا باسم اليهودية حاربناهم باسم الإسلام، إذا حاربونا ورفعوا التوراة رفعنا القرآن الكريم، إذا قالوا: التلمود، قلنا: البخارى ومسلم. إذا قالوا: نعظّم السبت، قلنا: نعظّم الجمعة، إذا قالوا: الهيكل، قلنا: المسجد الأقصى. إذا قالوا: موسى، قلنا: نحن مع موسى وعيسى ومحمدّ عليهم الصلاة والسلام، فنحن أولى بموسى منهم.

نحن الأقوى، لا يفلّ الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم.

المعركة بيننا وبين اليهود معركة دينيةّ بهذا المعنى، معركة إسلاميّة وسنستمر فيها.

لم نحارب اليهود لأنّهم يهود ذوو عقيدة يهوديّة، ولم نحارب اليهود لأنّهم ساميّون، كما يقولون عنّا: أعداء السامية. وكيف نعادى السامية ونحن ساميّون، على أن اليهود لم يعودوا ساميّين فى أغلبهم، اليهوديّة ديانة دخلت فيها أجناس شتىّ، هناك فى اليهود: الأوربى والمشرقى والمغربى واليمنى والأثيوبى

والبولندى والخزرى، وقد كتب أحد الغربيّين رسالة يقول فيها: (إن يهود اليوم ليسوا يهودا)! يقصد: ليسوا ساميّين، لم يعودوا ساميّين.

نحن العرب: ساميون؛ لأننا أبناء إسماعيل، وأبناء العروبة، والعروبة سامية.

فهؤلاء يدّعون أننّا نحاربهم من أجل هذا. نحن لا نحاربهم لا لأنّهم ساميّون، ولا لأنهم يهود، نحن نحارب اليهود لأنّهم غاصبون، غاصبون لأرضنا، معتدون علينا، ليس لهم أىّ حقّ فى هذه الأرض، لا حقّ دينى كما يزعمون، ولا حقّ تاريخى.

ناقشنا فى مقام آخر ما يزعمون أنّه حقّ دينىّ لهم، وليس لهم أىُّ حق، يقولون: إنّ الله أعطى هذه الأرض لإبراهيم ولنسله. لنفترض هذا صحيحا وصدّقناكم، ألسنا من نسل إبراهيم؟ ألسنا نحن العرب من نسل إبراهيم لأننا أبناء إسماعيل؟ يقولون: لا، إسماعيل ابن الجارية، وابن الجارية لا يُحسب فى أبناء إبراهيم!! كذبتم والله، فإنّ إسرائيل نفسه الذى تنتسبون إليه – وهو يعقوب عليه السلام – تزوج أربعا. اثنتين من الحرائر واثنتين من الإماء، تزوّج ابنتى خالته – أو خاله – وأنجب منهما ستة من أبناء إسرائيل، وتزوجّ جاريتيهما أيضا وأنجب منهما ستة آخرين، فنصف بنى إسرائيل من هاتين الجاريتين، فهل تنكرون أنّ أبناء هاتين الجاريتين من بنى إسرائيل؟ لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك.

ونزيد على ذلك نقول: إنّكم تقولون فى أسفاركم: إنّ داود عليه السلام الذى تباهون به وتفخرون بملكته، كان له مائة زوجة ومائتا جارية يتسرّى بهنّ. وأنّ ابنه سليمان – عليه السلام – كان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة أمة، ولا شكّ أنّهما أنجبا من هؤلاء وهؤلاء، والجميع يدخلون فى بنى إسرائيل.

فلماذا تخرجون إسماعيل وحده لأنّه ابن الجارية؟! وإذا كان ابن الجارية أليس هو ابن إ براهيم؟! لتكن أمّه ما تكون، فإنّما هو ابن إبراهيم عليه السلام. هؤلاء لا يستندون إلى منطق، إنّهم لا يعتمدون على حجة، أو سلطان مبين، إلا سلطان القوة وحدها.

تكلم السيف فاسكت أيّها القلم! هذا هو منطقهم.

ليس لهم أىّ منطق دينى، ولا منطق تاريخى. وهل هذا الوعد الذى وعدهم الله، وعد مطلق أو وعد مشروط؟ إذا تمسّكوا بعهد الله، وساروا على منهج الله، أمّا إذا انحرفوا فلابدّ أن يؤدّبهم القدر، كما قال تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ **عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا** ﴾ [الإسراء: ٨] إذا عدتم إلى الإفساد عُدنا عليكم بالعقوبة، كما قال الشاعر:

إن عادت العقرب عُدنا لها بالنّعل والنّعلُ لها حاضرة

وكما قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا** ﴾ [الأعراف: ١٦٧، ١٦٨] قطعهم الله فى الأرض أمما.

ولهذا يسلّط الله عليهم ما بين حين وآخر من يسومهم سوء العذاب، وآخر من فعل بهم ذلك هو (هتلر) الذى أراد أن يصفيهم تصفية جسدية، صحيح أنّه لم يفعل كما يدّعى اليهود أنّه أحرق ستة ملايين فيما يسمّونه (الهولوكست)! هذا كذب، وقد أثبتت دراسات علميّة موضوعيّة أكاديميّة كذب هذه الأرقام، وكتب ذلك المفكّر المعروف (روجيه جارودى) فى كتابه (الأساطير المؤسّسة للصهيونيّة).

ولكن إسرائيل بما لها من سلطان على الإعلام وعلى السياسة تستطيع أن تقلب الحقائق، أن تجعل الكذب صدقا والصدق كذبا، وهذا على كلّ حال لا يهمّنا، الذى يهمّنا هو: أنفسنا. نحن والله نملك الكثير ولكنّا لا نستخدمه! هذه الأمّة تملك من مقوّمات القوة ما لا يملك غيرها.

نحن نظنّ أنّ اليهود يملكون كلّ شئ، لا والله، ليس اليهود بالقوة التى نتخيلها. عندهم مائتا قنبلة نوويّة، ليكن. عندهم ترسانة أسلحة لا توجد عند العرب مجتمعين، عندهم مساندة أمريكا، عندهم تأييد من يؤيدّهم من

الغربيين. ولكن نحن معنا الحق، نحن أصحاب الحق، نحن معنا تأييد الله عز وجل، نحن أمّة كبرى: مليار وثلث مليار من البشر، كلّها تتعلّق قلوبها بالقدس وبفلسطين، نحن معنا هذا الرصيد الهائل، نستطيع أن نقاوم.

ونحن نستطيع أن نقف أمام إسرائيل بصدورنا، والله نستطيع أن نزحف إلى الأقصى، وليقتلوا من يقتلون منّا، سيقتلون ألفا. عشرة آلاف.. مائة ألف. مليونا، ليُقتل مليون من المسلمين، ولكن لابدّ أن يفتح الطريق أمام المسلمين. كانوا يقولون: إسرائيل هى القوة التى لا تقهر! وقد رأيناها قهرت، قُهرت فى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ / السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، إسرائيل يمكن التغلّب عليها وقد انتصر عليها كذلك حزب الله فى جنوب لبنان.

إسرائيل مجموعة من المتناقضات، اليهود أنفسهم منقسمون: هناك اليهود الأوربّيون، واليهود الشرقيونّ - السفاردين والإشكانزم - وهؤلاء يتعالون على هؤلاء. اليهود الشرقيونّ هم سبعون فى المائة (٧٠٪)، ومع هذا ليس لهم فى الجامعات إلاّ حوالى سبعة فى المائة (٧٪) (فقط!! أمّا يهود (الفلاشا) الذين جاءوا من الحبشة فهؤلاء لا يُعتبرون، يؤخذ منهم التبرّع بالدم فى زجاجات ثم تُرمى؛ لأن دماءهم لا تصلح!!

هذا هو المجتمع الإسرائيلى، وكما قال الله تعالى: ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ**﴾ [الحشر: ١٤].

هناك متناقضات فى داخل إسرائيل.

كلّ ما نحتاج إليه: إرادة قويّة تحاول أن تجمع هذه الأمّة، التى فُرّقت وشُتّتت، شتّتها الأيديولوجيات المختلفة، وشتتها الولاءات المتباينة، وشتتّها الأهواء والمصالح والأنانيات، وشتّتها حمق الحمقى.

تشتّتت هذه الأمّة ويجب أن تتحد، إن لم يتحد المسلمون فليتحد العرب، إن لم يتحد العرب فليتحد الفلسطيّنيون قبل كل شئ، لا يجوز أن يتصارع الفلسطينيوّن بعضهم مع بعض.

أسفنا والله أشدّ الأسف، لهذه التهم التى كيلت جزافا للمجاهدين فى سبيل الله، الذين باعوا أرواحهم ونذروا حياتهم لنصرة هذه القضية، لا يبتغون إلاّ الله والجنّة. هؤلاء الذين قالوا: إمّا أن نعيش أعزّاء أو نموت شهداء، تُكتال إليهم التهم!

ما كنّا نودّ أن تصبح السلطة فى جانب والشارع الفلسطينى فى جانب، نحن نريد أن يتحد هذا الشعب سلطة وشارعاً وفصائل مقاومة، ليقفوا أمام العدو الذى تبيّن أنّه لا يعطيهم إلاّ الأوهام، إلاّ سراباً ﴿ **بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا** ﴾ [النور: ٣٩].

يجب أن نوحّد الكلمة ما استطعنا.

وشكر الله للإخوة فى (حماس)، الذين يمدّون أيديهم لإخوانهم مهما أوذوا، ويقولون: لا نرضى أبداً أن ينقسم الفلسطينيّون، وأن يتصارع الفلسطينيون. ولا نريد أن نكون سبباً فى ذلك، وإن أوذينا، وإن لفّق علينا ما لفقّ، وإن قيل فينا ما قيل. وهذا هو الموقف الحق.. الموقف الصادق.

نحن نستطيع أن نفعل الكثير إذا وجّهنا وجوهنا إلى الله تبارك وتعالى، والله إنّنا نقدر أن نفعل الكثير. ليست هذه أوّل مرّة تضيع فيها فلسطين، ضاعت من قبل، وهّيأ الله رجالا حرّروها. ونحن - إن شاء الله - عندنا الرجال، عندنا الأبطال، عندنا الشباب الذين نذروا حياتهم لله تبارك وتعالى، وهذا أهمّ ما نحتاج إليه.

نريد المتجرّدين الذين جرّدوا نياتّهم وبواعثهم من كلّ عرض دنيوى، وجعلوها لله ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

يا أيها الإخوة.. يا أيّها الشباب:

لقد عشنا فى زمن رأينا فيه فلسطين تسقط أمامنا مدينة مدينة، فى سنة

(١٩٤٨م) ونحن نترقّب الإذاعات يقولون : سقطت (حيفا)، يا الله، وداعاً يا (حيفا)، وداعاً يا (يافا)، وداعاً يا (عكاّ)، فى كلّ مدّة تسقط مدينة من مدائن فلسطين أمام أعيننا، ونودعها بالدموع والأحزان .

أين الأمّة؟ أين أمّة العرب والإسلام؟ كانت الأمّة مغيبّة فى ذلك الوقت، حتى إنّ الجيوش العربيّة التى دخلت فلسطين – بعد الخامس عشر من مايو حينما أعلنت دولة إسرائيل – كان المفروض أن تدخل هذه الجيوش لإقامة دولة فلسطين حسب قرار التقسيم، قرار التقسيم جعل دولة لليهود ودولة للعرب، الطبيعى أن تدخل الجيوش العربيّة لتساعد فى إقامة دولة العرب؛ دولة الفلسطينيين، وكان هناك حكومة منفى موجودة بالفعل يرأسها (أحمد حلمى باشا) اسمها (حكومة عموم فلسطين) كما كنّا نقرأ فى ذلك الوقت .

ولكن للأسف لم تدخل الجيوش العربيّة لإقامة دولة فلسطين مقابل دولة إسرائيل، وإنّما دخلت لتأديب العصابات الصهيونيةّ! واحتلّت الأردن القدس والضفة الغربية، واحتلت مصر غزّة، وطبعا بعد ذلك لا يسمح بإقامة دولة داخل الدولة، وهكذا .

وبعد مدّة – بعد أن قام الفلسطينيوّن وانضمّ إليهم المتطوّعون من مصر وسوريا من الإخوان المسلمين، ومن بعض ضبّاط الجيش المصرى الذين أخذوا إجازات من عملهم الرسمى، وتطوّعوا فى هذا العمل الجهادى – قام الفلسطينيوّن بمقاومة باسلة . برغم قلّة إمكانياتهم – فإنّ الانتداب البريطانى كان يحرّم عليهم حمل السلاح أى سلاح، من يملك رصاصة فإنّه يعاقب بخمسة عشر عاما فى السجن – ومع هذا استطاعوا أن يحققّوا نصرا وإنجازا فى مواقع شتىّ .

ولكن جاءت الهدنة التى وافقت عليها الحكومات العربيّة، وكانت هذه الهدنة هى بمثابة حُقنة مقوية، أو مخرجة من الموت إلى الحياة لإسرائيل، فى شهر واحد تدفقت الأسلحة من كل مكان على إسرائيل .

هذا للأسف ما حدث.

المتطوّعون قاموا بما قاموا من أعمال فى سبيل الله لا زال التاريخ يذكرها، لا يتسع المقام لأحدثكم عن بعض هذه النّماذج من المجاهدين الذين باعوا أنفسهم لله. لعلّنا فى خطبة أخرى – إن شاء الله – نتحدث عن نماذج المؤمنين من المجاهدين الذين تطوّعوا لله عز وجل.

أنا أقاوم إذن أنا موجود:

يا أيّها الإخوة:

إنّ قضيّة فلسطين قضية حيّة، لا يمكن أن تموت أبدا، إذا سلّم فيها بعض الناس فلن نسلّم فيها. لا يمكن أن نسلّم بضياع جزء من فلسطين، وكما قلت أمس: إذا كان (مناجم بيجن) قال: أنا أحارب إذاً أنا موجود، فإنّ الشيخ أحمد ياسين قال: أنا أقاوم إذاً أنا موجود.

لابدّ أن تستمرّ المقاومة، والمقاومة بالحق ستنتصر على المحاربة بالباطل. سينتصر أحمد ياسين إن شاء الله – على مناجم بيجن، ﴿ **وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الأسراء: ٨١].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

زيارة الشيخ أحمد ياسين للدوحة:

أيّها الإخوة: يسعدنا فى هذا اليوم أن يُصلّى معنا الأخ المجاهد الصابر المحتسب المرابط – الذى نذر نفسه لله... للإسلام ... ولفلسطين ... ولمقاومة العدو الباغى الآثم... مقاومة الصهيونيّة الظالمة... مقاومة هذا الاستعمار الإرهابى أكبر إرهابّى فى العالم – الأخ (أحمد ياسين) الذى أوذى فى سبيل الله

ما أوذى، على ما به من تعب جسمى وعلى ما به مما ترون، ولكنّ هذا الجسم المريض وراءه روح قوية لا تستسلم ولا تخنع ولا تنحنى أبدا.

حاول اليهود أن يُغروه فلم يُغر، حاولوا أن يَثنوه فلم ينثن، حاولوا أن يتقدمَ إليهم بطلب فلم يقبل، حاولوا أن يوقّع على بيان فرفض.

إنّه يعيش لقضيّة، ويعيش لرسالة.

وهكذا نحتاج نحن إلى هذا النوع من الرجال ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. هذا الرجل من هؤلاء الرجال، نحسبه كذلك ولا نزكى على الله تعالى.

نسأل الله عز وجل أن يثبته وإخوانه على الحق، وأن يفتح لهم فتحا مبينا، وأن يهديهم صراطا مستقيما، وأن ينصرهم نصرا عزيزا، وأن يتمّ عليهم نعمته، وينزل فى قلوبهم سكينته، وينشر عليهم فضله ورحمته.

اللهم أيد بروح من عندك إخوتنا فى فلسطين وفى لبنان. اللهم أيد إخوتنا فى (حماس) وفى (الجهاد)، اللهم أيد المجاهدين فى سبيلك، اللهم أمدهم بروح من عندك، واحرسهم بملأ من جندك، واحفظهم بعينك التى لا تنام، واكلأهم فى كنفك الذى لا يضام.

اللهم أيّد إخوتنا فى كشمير وفى الفلبين وفى السودان، وفى سائر بلاد الإسلام.

اللهم اجمع كلمة إخواننا فى أفغانستان وفى الصومال وفى سائر أرض الإسلام.

اللهم اجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، والنيات على الجهاد فى سبيلك، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًا سخاءً رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أحب أن أُنبه الإخوة أن الأخ المجاهد الشيخ (أحمد ياسين) ستكون له كلمة بعد الفراغ من صلاة الجمعة إن شاء الله. أرجو من الإخوة أن يبقوا في مجالسهم بعد الصلاة لنستمع إليه، زاده الله توفيقا وثبته وسدد خطاه.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

OBEIKAN.COM